مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الاقتصاد الإسلامي، م٢١ ع٢، ص ص: ١٣٧-١٥٢ (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ)

مراجعة علمية لكتاب:

"L'Islam de marché. L'autre révolution conservatrice"
إسلام السوق: الثورة المحافظة الأخرى

تأليف: باتريك هايني (Haenni)

مراجعة: عبدالرزاق سعيد بلعباس
باحث بمركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي
جامعة الملك عبدالعزيز – جدة – المملكة العربية السعودية

الناشر: سوي (Seuil) – جمهورية الأفكار (La République des idées)، ضمن السلسلة التي يديرها المؤرخ بيير روزنفالون (Rosanvallon) (٦٠ سنة) والاجتماعي تيري باش (Pech) (٣٩ سنة)، باريس، ٢٠٠٥م، ١٠٨ صفحة.

المؤلف: المؤلف باتريك هايني: سويسري الأصل، عمره ٤٠ سنة، متخصص في العلوم السياسية، تخرج من "معهد الدراسات السياسية" بباريس، وتحصل على جائزة أفضل أطروحة فرنكوفونية للدكتوراه حول العالم

الإسلامي. عمل كباحث في "مركز الدراسات والتوثيق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية" (CEDEJ) بالقاهرة[١]، ومستشارًا لدى مؤسسات دولية مثل: "المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات" و"هيئة الصليب الأحمر الدولية".

الصدى الإيجابي للكتاب

أثار الكتاب المعد بأسلوب جذاب ومختصر على مدار السنوات الثلاثة الأخيرة تعليقات عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- **أرمانيوس، رشاد** (٢٠٠٥م) "الخطاب الإسلامي يخرج من المساجد ليُباع في السوق الكبير"، *مجلة البريد*، ٢٩ أكتوبر.

Armanios, Rachad (2005) *L'Islam sort des mosquées pour se vendre au supermarché*, Le Courrier, 29 octobre.

٢- **هرزليق، غي** (٢٠٠٦م) "خطاب ديني يبحث عن إغراء"، *الأصداء*، العدد ١٩٥٨٢، ١٢ يناير، ص ١٥.

Herzligh, Guy (2006) *Une religion en quête de séduction*, Les Echos, n°19582, 12 janvier, p. 15.

٣- **لونتز، فرنسوا** (٢٠٠٦)، "الإسلام والروح الجديدة للرأسمالية، *مجلة البدائل الاقتصادية*، ١٤ يناير.

Lantz, François (2006) *L'Islam et le nouvel esprit du capitalisme*, Alternatives économiques, n°243, janvier.

٤- **دونار، جيزال** (٢٠٠٦م) "تحقيق إبتدائي لباتريك هايني، إسلام السوق"، *مجلة الأعداد الكبيرة*، رقم ٢٦، ص ٢٠٩-٢١٣.

Donnard, Giselle (2006) *Recension de Patrick Haenni, l'Islam de marché*, Multitudes, n°26, pp. 209-213.

---

(١) أُسس "مركز الدراسات والتوثيق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية" أثر اتفاقية التعاون بين فرنسا ومصر سنة ١٩٦٨م، وهو يخلف في الحقيقة "مدرسة القانون الفرنسية" (١٨٩٠-١٩٥٦م).

٥- **تسلو، لوران** (٢٠٠٦م) "إسلام السوق: الثورة المحافظة الأخرى، *مجلة العلوم الإنسانية*، العدد ١٧٠، أبريل.

Teslot, Laurent (2006) *L'Islam de marché. L'autre révolution conservatrice*, Sciences Humaines, n°170, avril.

٦- **حسن السرات** (٢٠٠٦م) "إسلام السوق"، ٣١ مايو، *موقع "الجزيرة، نت"* على شبكة الإنترنت.

٧- **مونتني، إيف** (٢٠٠٧م) "الإسلام الليبرالي الجديد في الطريق"، *مرصد الأديان*، ٢ سبتمبر.

Montenay, Yves (2007) *L'Islam néolibéral est en marche*, L'Observatoire des religions, 2 septembre.

ومن المؤشرات التي تدل على الصدى الإيجابي الذي لقيه الكتاب في بعض الدول الإسلامية، أن مؤلفه دُعِي إلى الملتقى الدولي حول "الإسلام والليبرالية" الذي نظمته جامعة دوكوز إيلول بمدينة إزمير التركية في ٢-٣ نوفمبر ٢٠٠٦م، وألقى أول محاضرة حول العلاقة بين الإسلام والليبرالية(٢).

المقصود من عنوان الكتاب ونقده

يضم عنوان الكتاب طرفين على النحو الآتي:

الأول: "إسلام السوق"، والمقصود من ذلك محاولة بعض المسلمين تكييف الإسلام مع قيم الليبرالية الجديدة من ربح، وإدارة، ونجاح اجتماعي.

الثاني: "الثورة المحافظة الأخرى"، والمقصود هنا أن التركيبة الإيديولوجية لإسلام السوق تذكر بتركيبة المحافظين الجدد الأمريكيين، التي تجمع بين ثقافة الأعمال، والالتزام الأخلاقي، ونقد دولة الرفاهية لصالح المبادرة الشخصية

---

(٢) **Jean, Marcou** (2006) *Compte rendu du Symposium international "Islam et libéralisme",* Université du Dokuz Eylül, Izmir, 2-3 novembre 2006, www.ovipot.free.fr.

والأعمال الخيرية. ومن الممكن أن يظهر في المستقبل جسور غير متوقعة كما يرى المؤلف بين هذا الوجه الجديد للإسلام، وذاك الوجه القديم لأمريكا إن صح التعبير. وكلا الوجهين في نظره لا يقدمان بديلاً للنموذج الاقتصادي التنافسي المعولم السائد اليوم، والتعويل في هذا المجال لا يمكن أن يأتي إلا من أوروبا التنويرية، والعقل العلماني والدولوي (ص ١٠٨). ويظهر واضحًا من هذا الطرف الثاني من عنوان الكتاب: أن محاولات تقسيم المجتمعات الإسلامية بين ليبراليين، ومحافظين تظل نسبية، فمن يصنف بأنه ليبرالي في المجتمع الإسلامي، يلحق من وجهة نظر المؤلف بالمحافظين الجدد.

ويتضح – بعد قراءة متأنية – أن العنوان الذي اختاره المؤلف ليس دقيقًا. ولعل العنوان الأقرب إلى فكرة الكتاب الأساسية هو "الخطاب الجديد حول أخلاق الإسلام واقتصاد السوق".

وقد يوحي عنوان الكتاب لبعض القراء: أن السوق أمر غريب عن الإسلام وأنه من خصائص الليبرالية. إن السوق ليس حكرًا لأحد، فهو قديم قدم المجتمعات الإنسانية. وكان للعرب في الجاهلية أسواق يتبايعون فيها، واشتهروا بالتجارة. وكانت لهم قوافل تجارية تنقل البضائع من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الفرس والروم، إضافة إلى رحلاتهم المعروفة إلى بلاد اليمن في الشتاء، وإلى بلاد الشام في الصيف. وكان النبي ﷺ تاجرًا في مكة قبل البعثة، ولما هاجر إلى المدينة، حدد مكانًا للسوق، وتعهده بالإشراف والمراقبة، ووضع له ضوابط وسن له آداباً، وطهره من كثير من بيوع الجاهلية، ومنع بيع المحرمات فيه. كما عني بحريته وإتاحة الفرص المتكافئة فيه للبيع والشراء، ومقاومة كل سلطان أو مظهر يراد به التأثير أو الاستئثار بأي امتياز فيه، ومنع أي احتكار

أو استغلال يقع فيه[٣]. وبذلك صحح الإسلام النظرة الخاطئة التي كانت تظن أن الذهاب إلى السوق لا يتناسب مع هيبة الأنبياء. وقد أثر توحيد الإسلام لشبه الجزيرة العربية، وإحلاله الأمن فيها بصفة إيجابية على النشاط التجاري. واهتم الفقهاء بالأسواق وأحكامها وأخلاقها، فألفوا عددًا من الكتب التي تعني بشؤونها، وما يتعلق بها من تجارة، وحرف، وصناعات، ووظائف كالحسبة.

تقسيم الكتاب

قسم المؤلف الكتاب إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة. فتناول في المقدمة (ص ص: ٧-١٢) فكرة مفادها أن ما سماه "إسلام السوق" يشكل تركيبة دينية جديدة لا تزال خفية في العالم الغربي، الذي يوجه كل أنظاره نحو ما يعرف بالعمليات الجهادية، ولا يهتم بظهور طرق تدين جديدة يهيمن فيها هم التطبيع الثقافي، والاندماج في الفضاء العمومي الشامل. ومن مظاهر هذا الواقع الجديد الذي بدأ ينتشر منذ النصف الثاني من التسعينيات الميلادية: أن الحجاب الجديد يأخذ طابعًا ذوقيًا وفنيًا يتناسب مع الأجواء الأوروبية، والأناشيد الإسلامية تأخذ إيقاعات غربية مثل "النيوإيج" (*new age*) أو العصر الجديد، و"البوب" (*pop*)، و"الراب" (*rap*)، والصدقة يعاد سياقها في قالب المنظمات الإنسانية الغربية، ويرجع ذلك إلى أربعة سيناريوهات (ص ص: ١٠-١١).

الأول: بلورة تدين فرداني قليل النضال ومستريح نهائيًا في هذا العالم دون مركب نقص، وهو موضوع الفصل الأول (ص ص: ١٣-٣٨).

---

(٣) **أحمد الدريويش** (١٤٠٩هـ) أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص: ٣٠-٣٩.

الثاني: لعبة تبادل جديدة بين الحقل الديني والحقل الاقتصادي، بينما كانت الديناميكية الإسلامية حتى الآن مهيكلة من خلال تفاعل قوي بين الحقل الديني والحقل السياسي، وهو موضوع الفصل الثاني (ص ص: ٣٩-٥٨).

الثالث: عقلية الأعمال في الحقل الديني أين تهيمن قيم النجاح وتحقيق الذات، وهو موضوع الفصل الثالث (ص ص: ٥٩-٨٦).

الرابع: التسييس الليبرالي الجديد للإسلام باعتبار أن إسلام السوق ليس تمهيداً لإقامة دولة إسلامية، ولكنه أحد ناقلات خصخصة الدول، وربما لتصفية دولة الرفاهية، وهو موضوع الفصل الرابع (ص ص: ٨٧-١٠٢).

ويأسف المؤلف في خاتمة الكتاب (ص ص: ١٠٣-١٠٨) أن هذا الميل الليبرالي الجديد الذي ينمو في العالم الإسلامي هو على الأقل في شكله الحالي أقرب إلى "الأمركة" من الفلسفة الأوروبية التنويرية بمفهومها المعهود عند الفلاسفة الفرنسيين. لذلك يرى أن الصدام القادم من الناحية الجيوستراتيجية سوف لن يكون بين الحضارات، وبخاصة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، كما قال صاموئيل هنتينغتون، ولكن بين الثقافات، وبالتحديد بين الثقافة الأمريكية – ومن يتبناها أو يقترب منها بشكل أو آخر– والثقافة الأوروبية. وهكذا "استُبدِل – في نظر المؤلف – النضال السياسي بحرب ثقافية ترتكز على قيم ثقافة الأعمال" (ص ٦٧).

فكرة الكتاب الأساسية

يرصد المؤلف ميل ليبرالي جديد – لبعض المتدينين في العالم الإسلامي على حد تعبيره – يرتكز على ثلاثة عناصر:

١- الانفتاح على ثقافة السوق وقيمها وعلى رأسها التنافسية والفعالية.
٢- والالتزام بالقيم الأخلاقية.
٣- والحذر من دولة الرفاهية لصالح المبادرات الشخصية، والأعمال الخيرية.

ومن الناحية الاجتماعية، يرى المؤلف أن هذا الميل الليبرالي الجديد يرتكز على الأغنياء المتدينين، الذين ظهروا في العالم الإسلامي منذ عقدين (ص ٦٠).

ويؤكد أن هذا الميل الجديد لا يشكل تيارًا منظمًا، ولكنه تركيبة إيديولوجية في طريق التكوين، يرجع أكثر إلى التفاعل بين التدين والحقل الاقتصادي من التوظيف السياسي للإسلام، كما حصل منذ عهد قريب. ومن هذا المنظور يظهر الإسلام كنتاج استهلاكي مندمج في فضاء السوق الشامل، وبالتالي فإن المستهلك الإسلامي في "إسلام السوق" يأخذ مكان المناضل الإسلامي في "الإسلام السياسي".

ويرى المؤلف أن هذا الميل الليبرالي الجديد يرتكز على ما يسميه الاقتصاديان الفرنسيان لوك بولتنسكي وإيف شيابيلو "الروح الجديدة للرأسمالية"[٤] التي تسعى إلى التوفيق بين الرأسمالية والقيم الدينية (ص ٨٧) على غرار محاولات بعض اليابانيين، والصينين، والهونكونجيين، والتايوانيين، والكوريين للجمع بين الرأسمالية والكنفوشية[٥]. وبهذا تفصل الأخلاق من المنظومة الإسلامية الشاملة لتصبح مجرد إشارات تمنح للذهن جملة من الاستنتاجات الممكنة التي تتوافق مع قيم السوق والأعمال (ص ص: ٥٢-٥٦) و"توفر المصطلحات والمثاليات الضرورية للنضال الثقافي في ظل الكينونة الإسلامية" (ص ٥٨).

---

(٤) **لوك بولتنسكي** و**إيف شيابيلو** (٢٠٠٦م) الروح الجديدة للرأسمالية، باريس: منشورات غليمار.

Boltanski L. et **Chiapello E.** (2006) *Le nouvel esprit du capitalisme*, Paris: Gallimard.

(٥) **رنغ ري بارك بارجو** و**تاي سيك ري** (٢٠٠٧م) الأخلاق الكنفوشية وروح الرأسمالية: حالة الإطارات ومسؤولي الشركات في كوريا الجنوبية، ص ص: ٢١٧-٢٣٩.

Rang-Ri Park-Barjot et **Tae-Sik Rhee** (2007) *L'éthique confucéenne et l'esprit capitaliste: l'exemple des cadres et dirigeants d'entreprises en Corée du Sud*, in **Blanchon Flora; Park-Barjot Rang-Ri**, *Le nouvel âge de Confucius*, Paris: PUPS, pp: 217-239.

منهجية الكتاب

يعتبر المؤلف الدين بأنه: فعل اجتماعي له أشكال متعددة، أو تركيبات ممكنة – منها الإسلام السياسي وإسلام السوق–، تتسم بعدم الاستقرار. ومنهجيته في الكتاب وصفية استقرائية في ظاهرها، لكن خلفيتها معيارية لا تدرس الإسلام لتفهمه، بل تعتبر – سيرًا على سنة بعض المستشرقين من أمثال ماكسيم رودينسون في كتابه "الإسلام والرأسمالية" (١٩٦٦م) – أن أهم شيء هو أن يتطور الإسلام، وأن يعاد تفسيره بحيث يبدو متفقًا أو متناقضًا مع الحضارة، أو الثقافة، أو الفلسفة، أو النظرة الشخصية للحياة. فهو يأسف أن تكون نظرة أنصار "إسلام السوق" إلى الحداثة، بعيدة عن الفلسفة التنويرية الفرنسية وأن تميل إلى طرف أمريكا المحافظة (ص ١٠٢). لذلك لا أوافق إلى ما ذهب إليه بعض المحللين أن باتريك هايني "ينتمي إلى الجيل الجديد من الباحثين الذين يهتمون قبل كل شيء بممارسات الفاعلين الاجتماعيين"(٦)، ولا ما كتبه بعض المراجعين للكتاب بأن "باتريك هايني يمثل جيلاً جديدًا من أجيال الإسلامولوجيين (المهتمين بالظاهرة الإسلامية)، وهو جيل يحرص أشد الحرص على الموضوعية العلمية، والدراسة الوصفية، والتحليلية البعيدة عن أي توظيف سياسي"(٧).

رأي المؤلف في الاقتصاد الإسلامي

انطلاقًا من فكرة مفادها أن "اليوتوبيا الإسلامية كبديل حضاري كامل مبني فقط على الدين ليس لها نفس طويل" (ص ١٣)، يرى المؤلف أن إنشاء نظام

---

(٦) **ج. ف. م. أبحاث وتحاليل** (٢٠٠٦م) باتريك هايني العالم الإسلامي.
JFM Recherches et Analyses (2006) *Patrick Haenni Monde Musulman*, www.jfm.info.
أمة كوم (٢٠٠٦م) فرنسا: نحو إثبات سياسي للجاليات الإسلامية – حوار مع باتريك هايني، ٢١ مارس.
Oumma.com (2006) *France*: *vers une affirmation politique des communautés musulmanes – Entretien avec Patrick Haeeni*, 21 mars, www.religion.info.

(٧) **حسن السرات** (٢٠٠٦م) إسلام السوق، ٣١ مايو، الجزيرة نت.

اقتصادي إسلامي مستقل أمر بعيد عن الواقع[٨]، وأن الممارسة الدينية اليومية تسبح في أغلب الأحيان على عكس ذلك الاتجاه، بالتوفيق بين الإسلام والسلوك الفرداني، والاستهلاكي السائد اليوم في المجتمعات الغربية (ص ٢٢). وبهذا فإن الخطاب الإسلامي الليبرالي الجديد يتميز حسب المؤلف بإعادة مركزة التدين من المحيط الديني إلى محيط السوق الشامل. ويتحول بذلك إلى منتج موجه للمستهلكين يقصد من ورائه ليس إصلاح قلوبهم، ولكن التكيف مع طلباتهم، وعرض منتج إسلامي يتفق مع توقعاتهم (ص ٤٣).

يتعرض المؤلف هنا إلى مقارنة ما لا يمكن مقارنته من الناحية العلمية. ومن المعلوم أن المقارنة بين النظرية المحضة لنظام ما، والممارسات الملموسة لنظام آخر تكون دائماً لصالح الثاني[٩]. فالتحليل العلمي يقتضي مقارنة ما يمكن مقارنته، كالمقارنة مثلاً بين مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي، ومبادئ النظام الاقتصاد الليبرالي، أو بين قيم النظام الاقتصادي الإسلامي، وقيم النظام الاقتصاد الليبرالي، ونحو ذلك.

وانطلاقاً من فكرة "فشل الإسلام السياسي"، التي طرحها الباحث الفرنسي في العلوم السياسية أوليفيي روا في بداية التسعينات الميلادية[١٠]، يصل المؤلف إلى استحالة تحقيق الاقتصاد الإسلامي، أي أنه لا يمكن لهذا الأخير أن يتميز

---

(٨) وهي النتيجة التي وصلت إليها الباحثة الفرنسية **إيزابيل شبولييه** (٢٠٠٤م) في رسالتها للدكتوراه "الإسلام والرشد الاقتصادي: من الأخلاق الإسلامية إلى التمويل الإسلامي. تركيا نموذجًا، جامعة إكس مرسيليا ٢.

Isabelle Chapelliere (2004) *Islam et rationalité économique: de l'éthique musulmane à la finance islamique*: *application au cas de la Turquie*, sous la direction de Gilles Nancy et Olivier Roy, Centre de Recherche sur les dynamiques et politiques économiques et l'économie des ressources, Université d'Aix-Marseille II.

(٩) **جون بول فيتوسي** (٢٠٠٠م) الحوار الممنوع، منشورات لوسوي، باريس، ص ٣٠٧.

Jean-Paul Fitoussi (2000) *Le débat interdit*, Paris: Seuil, p. 307.

(١٠) **أولفيي روا** (١٩٩٢م)، فشل الإسلام السياسي، باريس: سوي.

Olivier Roy (1992) *L'échec de l'Islam politique*, Paris: Seuil.

بمنظومة أخلاقية وقيمية بمعزل عن قيم النموذج الاقتصادي التنافسي المعلوم السائد اليوم. وهو يتصور بذلك أن الاقتصاد الإسلامي نظام كلي شمولي، لا تكون الحرية الاقتصادية مكفولة فيه. وهذه فكرة قائمة على تصور خاطئ تعبر عن جهل بأصول ومقاصد الاقتصاد الإسلامي، المحكومة بشرع حكيم يحقق مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

ويعتبر المؤلف أن الإسلام التقليدي يدعو إلى الزهد، والتواكل، وعدم الأخذ بالأسباب بحجة القدر، وهو بذلك غير متوافق مع عالم الأعمال (ص ٦٠). ومن الواضح أنه تأثر هنا بالخرافة التي روجها بعض المستشرقين مفادها أن "الإسلام يعادي الفعل الاقتصادي"[١١]، وأنه لم يطلع على المراجع الأساسية في الاقتصاد الإسلامي، سواء كانت قديمة أو حديثة. ولو اطلع على الأقل على بعضها لاتضح له أن الإسلام بريء من هذا السلوك، كما أوضح ذلك عدد من العلماء، منهم على سبيل المثال: محمد بن الحسن (ت ٨٠٤هـ) في كتابه "الكسب" (ص ٣٧)[١٢]، والخلال (ت ٣١١هـ) في كتابه " الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على كل من يدعي التوكل في ترك العمل، والحجة عليهم في ذلك" (ص ص: ٨٢-١٠٢)[١٣]، وابن اللبودي (عاش في القرن التاسع الهجري) في "كتاب فضل الاكتساب، وأحكام الكسب وآداب المعيشة" (ص ١٤٧)[١٤].

---

(١١) **غاري تريبو** (١٩٩٢م) رجل الأعمال المسلم، الإسلام ورشد الأعمال، باريس: لارماتون، ص ص: ١٣٧-١٣٨.

Gary Tribou (1992) *L'entrepreneur musulman. L'Islam et la rationalité d'entreprise*, Paris: L'Harmattan, pp: 137-138.

(١٢) **محمد بن الحسن** (ت ٨٠٤هـ) الكسب، نشر وتوزيع عبدالهادي حرسوني، ١٤٠٠هـ، دمشق.

(١٣) **أحمد الخلال** (ت ٣١١هـ) الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على كل من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك، دمشق: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

(١٤) **علاء الدين بن اللبودي** (١٤١٥هـ) عاش في القرن التاسع الهجري، كتاب فضل الاكتساب وأحكام الكسب وآداب المعيشة، ضمن كتاب (رسالتان في الكسب)، حققه وعلق عليه سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ص ص: ١٣٣-٢٤٥.

ملاحظات شكلية، وأخرى على عزو آية وترجمة بعض الأحاديث النبوية:

- استخدم المؤلف بعض الألفاظ الإنجليزية دون أن يوضح معناها بالفرنسية، وهذا ما يصعب فهمه على القارئ الفرانكفوني العادي.

- نزّل المؤلف على المجتمعات الإسلامية بعض مصطلحات الفكر الأوروبي منها على سبيل المثال: المصطلح الاشتراكي "*classes sociales*" (الطبقة البرجوازية) (ص ٦٠) ومصطلح "*Kulturkampf*" (النضال من أجل الثقافة أو الحضارة) (ص ٥٩).

- كتب في نهاية الفصل الرابع: أن المودودي دعا إلى "اشتراكية الإسلام" (ص ١٠٢) دون أن يشير إلى أي مرجع، وهذا أمر مجانب للصواب.

- كتب المؤلف اسم الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف على النحو الآتي: "Ouf" (ص ٦٦)، والصواب هو "Aouf".

- كتب عنوان كتاب محمد أحمد الراشد "صناعة الحياة" كما يلي: (*Sunaa al-Hayat*) (ص ٧٢) أي "صنع الحياة"، والصواب هو (*Sinâ'at al-Hayât*).

- أشار أن آية ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ موجودة في سورة البقرة (ص ٧٦)، والصواب أنها موجودة في سورة الرعد، الآية ١١.

- ترجم حديث الغربة "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء"[١٥] كما يأتي (ص ٢٥):

"L'Islam a commencé étranger, il finira étranger, heureux soient les étrangers".

والأقرب إلى الصواب أن يترجم على النحو الآتي:

---

(١٥) "صحيح مسلم" (رقم ١٤).

"L'Islam a commencé étranger et il redeviendra étranger, alors annoncez la bonne nouvelle aux étrangers".

● ترجم في موضع آخر حديث "من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة"(١٦) كما يلي (ص ١٤):

"Qui veut atteindre le paradis est obligé de passer par l'organisation (al-Gamaa)".

والأقرب إلى الصواب أن يترجم كما يلي:

"Quiconque désire occuper une bonne place au paradis qu'il se cramponne au groupe des musulmans".

كلمة ختامية

أهم ميزة للكتاب أنه وجه أنظار القارئ الفرانكفوني إلى أمر مهم هو أن العالم الإسلامي ليس كتلة متجانسة تسير في نفس الاتجاه، وبنفس الوتيرة في الوقت الذي تقدم فيه وسائل الإعلام، ومراكز الرصد، والكتب التجارية الإسلام بأنه دين كراهية، وعنف، وإرهاب يهدد الاستقرار، والسلام العالمي. وفي مقابل ذلك فإن الغرب أيضًا ليس كتلة واحدة يمكن الإشارة إليها كمنظومة ثقافية موحدة في مقابل الإسلام، بل تخترقه اتجاهات متعددة وتيارات متصارعة، ففيه جاهلون بالإسلام – وهم الغالبية في رأيي –، وفيه مغررون بانجازاتهم العلمية والتكنولوجية، وفيه منصفون مدافعون عن حقوق الإنسان، وفيه عقلاء يدعون إلى السلام العالمي، ويحترمون الثقافات الأخرى.

ويعتبر المؤلف – على نقيض بعض المنتسبين إلى الإسلام – الليبرالية: بأنها فلسفة غريبة عن الإسلام على أساس أنها تنظر إلى الحقائق – أي النصوص – بأنها نسبية، وبالتالي يجب إعادة تفسيرها، وتطويرها، ووضعها في

(١٦) "*صحيح ابن ماجة*" (رقم ٢٣٦٣).

سياق "الحداثة"، والأصح أن يقال في سياق "سلْعَنة العالم"[١٧] أو "أصولية السوق"[١٨] التي لم يعد لها إلا حجة عدم وجود نظام اقتصادي بديل، بعد الانتقادات التي وجهت إلى الليبرالية بأنها ترتكز على نظريات ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي ليس لها علاقة بالواقع، وأنها تقضي على كل صلات الترابط التقليدية، ولا تبقي إلا مجتمعات مأهولة بأفراد مستهلكين لا يرون من الحياة إلا مصالحهم الذاتية، وإشباع شهواتهم وغرائزهم، ولو على حساب الفضيلة الخلقية، والأجيال القادمة، وتوازن النظام البيئي.

والجديد في الكتاب لا يمكن في بروز مناصرين لليبرالية في العالم الإسلامي، فهناك أنصار هذا التوجه المتأثرين بالفلاسفة التنويريين الفرنسيين منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، الجديد هو أن المناصرين الجدد متأثرون بمدارس الأعمال الأنجلوساكسونية، ويمتلكون – بحكم تدينهم – قدرة أكبر على تأويل النصوص انطلاقاً من أن الإسلام لا يتعارض مع قيم الليبرالية. وعلى أي حال، يبقى أن نهج أنصار الليبرالية الإسلامية الجدد يثير تساؤلاً يشغل بال بعض المحللين الفرنسيين هو: هل سيؤدي الإسلام الليبرالي إلى ظهور وجه جديد من الإسلام أكثر تسامحًا – أي أكثر توافقًا مع قيم الليبرالية –، أم أنه سيكون وسيلة لانتشار الإسلام بشكل أوسع في العالم وبخاصة في الغرب؟[١٩].

وتجدر الملاحظة أن اهتمام السلطات الفرنسية منذ حوالي سنة بالتمويل الإسلامي يشكل مثالاً مناقضًا لفكرة صراع الثقافات التي يطرحها باتريك هايني

---

(١٧) **كرستيان كميليو** (٢٠٠٠م) طرق الحداثة المسدودة. نقد سلعنة العالم، باريس: سوي.
Christian Cameliau (2000) *Les impasses de la modernité. Critique de la marchandisation du monde*, Paris: Seuil.

(١٨) **جوزيف ستيغليتز** (٢٠٠٧م) عالم آخر ضد أصولية السوق، باريس: فيار.
Joseph Stiglitz (2007) *Un autre monde contre le fanatisme du marché*, Paris, Fayard.

(١٩) **دوني لونسل** (٢٠٠٣م) الإسلام المصري يتغير، حوار مع بتريك هايني، ١٧ أبريل.
Denis Lensel (2003) *L'Islam égyptien se transforme–entretien avec Patrick Haenni*, 17 avril.

في خاتمة الكتاب (ص ١٠٨)، لأن هذا التوجه الجديد للفرنسيين قد يساهم في الحوار الثقافي من أجل تعزيز مكانة العوامل الأخلاقية، والاجتماعية، والبيئية في صناعة القرار الاقتصادي. وفي هذا الصدد يتساءل بعض الباحثين الفرنسيين على النحو الآتي: هل على فرنسا أن تأخذ توجيهات التمويل الإسلامي بجدية بحيث تصبح قطب تنافسية ثقافية لتعزز وضعية قطبها التنافسي المالي من أجل خدمة التنمية المستدامة في صالح العالم والرجال؟[٢٠].

يبقى في الأخير أن بعض المفكرين الأمريكيين والفرنسيين انتقدوا الليبرالية، فمنهم من أشار إلى أنها تعيش ساعاتها الأخيرة، ومنهم من بدأ التفكير في عالم يتناسب مع مرحلة ما بعد الليبرالية، ومنهم من كتب عن كيفية الخروج من الليبرالية، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- **كريستيان شفانيو** (٢٠٠٧م) الساعات الليبرالية الأخيرة، موت إيديولوجية، باريس: برِان.

Christian Chavagneux (2007) *Les dernières heures du libéralisme. Mort d'une idéologie*, Paris: Perrin.

٢- **إيمانوييل ولارستاين** (٢٠٠٣م) ما بعد الليبرالية، ترجمة من الانجليزية، باريس: لاتور ديغ – لوب.

Immanuel Wallerstein (2003) *Après le libéralisme*, Paris: La Tour d'Aigues – Editions de l'Aube.

٣- **ألان تورين** (١٩٩٩م) كيف نخرج من الليبرالية؟ باريس: فيار.

Alain Tourraine (1999) *Comment sortir du libéralisme?,* Paris: Fayard.

---

(٢٠) **دومنيك كورسال** (٢٠٠٨م) هل التمويل الإسلامي هو فرصة للأخلاق؟ مجلة "سكيور"، العدد ١٩، مايو – يونيو، ص ٣٨.

Courcelles, Dominique (2008), *La finance islamique est-elle une chance pour l'éthique?*, Secure, n°19, mai-juin, p. 38.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

ابن الحسن، محمد (ت ٨٠٤هـ) (١٤٠٠هـ) *الكسب*، نشر وتوزيع عبدالهادي حرسوني، دمشق.

ابن اللبودي، علاء الدين (عاش في القرن التاسع الهجري) (١٤١٥هـ) *كتاب فضل الاكتساب وأحكام الكسب وآداب المعيشة*، ضمن كتاب (رسالتان في الكسب)، حققه وعلق عليه سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ص ص: ١٣٣-٢٤٥.

الخلال، أحمد بن محمد (ت ٣١١هـ) *الحث على التجارة والصناعة والعمل، والإنكار على كل من يدعي التوكل في ترك العمل، والحجة عليهم في ذلك*، مكتبة المطبوعات الإسلامية، دمشق.

الدريويش، أحمد (١٤٠٩هـ) *أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي*، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض.

السرات، حسن (٢٠٠٦م) إسلام السوق، ٣١ مايو، الجزيرة نت.

ثانيًا: المراجع الفرنسية

Armanios, R. (2005) *L'Islam sort des mosquées pour se vendre au supermarché*, Le Courrier, 29 octobre.

Boltanski L. et **Chiapello E.** (2006) *Le nouvel esprit du capitalisme*, Paris: Gallimard.

Cameliau, C. (2000) *Les impasses de la modernité. Critique de la marchandisation du monde,* Paris: Seuil.

Chapelliere, I. (2004) *Islam et rationalité économique: de l'éthique musulmane à la finance islamique*: *application au cas de la Turquie*, sous la direction de Gilles Nancy et Olivier Roy, Centre de Recherche sur les dynamiques et politiques économiques et l'économie des ressources, Université d'Aix-Marseille II.

Courcelles, D. (2008) *La finance islamique est-elle une chance pour l'éthique?*, Secure, n°19, mai-juin, p. 38.

Donnard, G. (2006) *Recension de Patrick Haenni*, *l'Islam de marché*, Multitudes, n°26, pp. 209-213.

Fitoussi, J.-P. (2000) *Le débat interdit*, Paris, Seuil.

Herzligh, G. (2006) *Une religion en quête de séduction*, Les Echos, n°19582, 12 janvier, p. 15.

JFM Recherches et Analyses (2006) *Patrick Haenni Monde Musulman*, www.jfm.info.

Lantz, F. (2006) *L'Islam et le nouvel esprit du capitalisme*, Alternatives économiques, n°243, janvier.

Lensel, D. (2003) *L'Islam égyptien se transforme – entretien avec Patrick Haenni*, 17 avril, Religioscope, www.religioscope.info.

Marcou, J. (2006) *Compte rendu du Symposium international "Islam et libéralisme",* Université du Dokuz Eylül, Izmir, 2-3 novembre, www.ovipot.free.fr.

Montenay, Y. (2007) *L'Islam néolibéral est en marche*, L'Observatoire des religions, 2 septembre.

Oumma.com (2006) *France*: *vers une affirmation politique des communautés musulmanes – Entretien avec Patrick Haeeni*, 21 mars.

Park-Barjot, R.-R. et **Rhee, T.-S.** (2005) *L'éthique confucéenne et l'esprit capitaliste: l'exemple des cadres et dirigeants d'entreprises en Corée du Sud*, in **Blanchon, Flora; Park-Barjot, Rang-Ri**, *Le nouvel âge de Confucius*, Paris: PUPS, pp: 217-239.

Rodinson, M. (1966) *Islam et capitalisme*, Paris: Seuil.

Stiglitz, J. (2007) *Un autre monde contre le fanatisme du marché*, Paris, Fayard.

Teslot, L. (2006) *L'Islam de marché. L'autre révolution conservatrice*, Sciences Humaines, n°170, avril.

Tribou, G. (1992) *L'entrepreneur musulman. L'Islam et la rationalité d'entreprise*, Paris: L'Harmattan.